﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ [يوسف: 7 - 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

بعد أنْ ذكر النّصُّ القرآنيُّ قصَّ يوسُفَ رُؤياه على أبيه، وأرشدهُ يعقوبُ بألّا يقصَّها على إخوته، تساءلَ السّامعُ للآياتِ: ما يكونُ بينه وبين إخوته هل يَكتمُهمُ الرُّؤيا أو يُعلمُهم بها؟ وعلى كلا التّقديرين ما يكونُ؟ فقال جوابًا لمن سأل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[1].

بعدَ الرّؤيا العجيبةِ، بدأتْ بوادرُ الحسدِ كما توقّعَها يعقوبُ عليه السلام

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: اسمُ فاعلٍ من سَأَل يسألُ سُؤالًا ومَسألةً[2]، أي: طلبَ، وسألتُه عنِ الشّيء: استخبرته[3]، وأَسْأَلْتَهُ سُؤْلَتَهُ ومسألتَه، أي قضيتَ حاجَتَه[4]، والسُّؤالُ: اسْتِدْعاءُ معرفةٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المال، والسُّؤالُ للمعرفةِ قد يكونُ للاسْتِعلام، وقد يكونُ لِلتَّبْكيتِ، واستدعاءُ المعرفة جوابُها باللّسان، وتنوبُ عنه اليدُ، أي بالكتابةِ والإشارةِ، وغلبَ لفظُ السّائل على الفقير، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ [الضّحى: 10]، وقولِه: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذّاريات: 19][5]. والمرادُ هنا بالسّائلين السّؤالُ للمعرفة: وهم اليهودُ الذين سألوا عن قصّة يوسفَ وإخوتِه،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/20.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سأل).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سأل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (سأل)، والزّبيديّ، تاج العروس: (سأل).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (سأل).

وطلبوا منَ النّبيّ ﷺ معرفتَها ومعرفةَ حقائقِها[1]، أو للسّائلين: أي الرّاغبين في معرفة الحقائقِ والاعتبارِ بها؛ لأنّهم همُ الّذين يَعقلون الآياتِ ويَستفيدون منها[2].

2) ﴿عُصْبَةٌ﴾: أصلُ (عصب) يدلُّ على رَبْطِ شيءٍ بشيءٍ، مستطيلًا كان أو مُستديرًا، ثمّ يُفرّعُ ذلك فروعًا، وكلُّه راجعٌ إلى قياسٍ واحدٍ[3]، ومنه الأَعْصابُ: أَطْنابُ المفاصلِ التي تُلائِمُ بينها وتَشُدُّها، وليس بالعَقَبِ، ومنه العُصْبَةُ: هم منَ الرِّجال عشرةٌ، ولا يُقال لِما دونَ ذلك عُصبةٌ، ويُقال هو ما بين العشرةِ إلى الأربعين، وفي أصلِ معناها الجماعةُ مطلقًا ثمّ خُصّت في العُرف[4]، وسُميّت بذلك؛ لأنّها قد عُصِبَتْ، أي كأنّها رُبطَ بعضُها ببعضٍ، إذ بينَهم آصرةٌ شديدةٌ تربطُهم، أو هم متّحِدون على أمرٍ ما[5]. ومعنى ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: مجتمعةُ الكلامِ متعاضدةٌ[6]، فهم جماعةٌ ذوو عددٍ أحدَ عشرَ رجلًا[7].

3) ﴿ضَلَالٍ﴾: (ضلّ) أصلٌ واحدٌ يدلّ على معنًى واحدٍ، وهو ضَياعُ الشّيءِ وذهابُهُ في غيرِ حقّه، وكلُّ جائرٍ عنِ القَصْدِ ضالٌّ، والضّلالُ والضّلالةُ بمعنًى[8]، وضلَّ الشّيءُ: خفيَ وغاب[9]، والضَّلالُ: ضدُّ الهُدى والرّشاد، وفَقْدُ ما يُوَصِّل إلى المطلوبِ، والضَّلالُ يُقالُ لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الحَقِّ، عَمْدًا كانَ أو سَهْوًا، يَسيرًا كانَ أو كثيرًا[10]، وهو العُدولُ عَنِ الطريقِ المُسْتَقيمِ، ويُستعملُ ممّن يكونُ منه خطأٌ ما، ولذلك نُسبَ الضَّلالُ إلى الأنبياء بمعنى الخطأ[11]. والمعنَى في الآية ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: لفي خطأٍ، وذهابٍ عن وجهِ التّدبيرِ[12]، وتيهٍ في المُحاباة ليوسفَ وأخيه، إذ ضلّ فيه طريقَ العدلِ والمُساواةِ، إذ يفضّلُ غلامَين ضعيفَين من ولدِه على العُصبة أولي القوّةِ والكسبِ والنّجدةِ[13].

(1) البغويّ، معالم التنزيل: 2/477، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/96.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/214.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصب).
(4) الخليل، العين، والزّبيديّ، تاج العروس: (عصب).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصب).
(6) الرّاغب، المفردات: (عصب).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 15/562.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضل).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضلل).
(10) الزّبيديّ، تاج العروس: (ضلل).
(11) الرّاغب، المفردات: (ضل).
(12) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/477، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/131.
(13) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/215.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اجتماعُ إخوةِ يوسفَ عليه السلام، وبوادرُ الكيدِ له، مع سَبْقِ الإصرارِ والتّرصُّدِ

يقولُ اللّه تعالى: لقد كان في قِصَّةِ يوسُفَ وإخوتِه عِبَرٌ، وأدلَّةٌ تدُلُّ على قُدرةِ اللّه وحِكمتِه، لِمن يسألُ عن أخبارِهم، ويرغَبُ في مَعرفتِها، إذ قال إخوةُ يوسُفَ مِن أبيه فيما بينهم جازمين مُقْسِمين: إنَّ يوسُفَ وأخاه الشَّقيقَ أَحَبُّ إلى أبينا مِنَّا؛ يُفَضِّلُهما علينا ونحن جماعةٌ ذَوو عَددٍ قويَّةٌ تقومُ له بكلِّ ما يحتاجُ إليه من أسبابِ الرّزق والحمايةِ والرّعاية والكفايةِ، إنَّ أبانا لفي خطأٍ بيِّنٍ، ضلَّ طريقَ العدْلِ والصّواب في حبّه ليوسفَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَراعةُ الابتداءِ بالجُملةِ الابتدائيّةِ، في الآيةِ الكريمةِ:

مُقدّمةٌ مُنبئةٌ بعظمِ شأنِ يوسفَ وقصّتِه

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾، جُملَةٌ ابتدائيَّةٌ، وهي مَبدَأُ القَصَصِ المَقصودِ؛ إذ كانَ ما قَبْلَهُ كالمُقَدِّمَةِ لَهُ المُنبِئَةِ بِنَباهَةِ شَأْنِ صاحِبِ القِصَّةِ، فَليس هو مِنَ الحَوادِثِ التي لَحِقَتْ يوسُفَ عليه السلام، ولهذا كانَ أسلوبُ هذه الجُملَةِ كأسلوبِ القَصَصِ، وهو قولُه: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ نَظيرُ قولِه تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: 70 - 71] إلى آخرِ القِصَّةِ[2].

دَلالةُ (اللّام) و(قد) في سياقِ أسلوبِ القسَمِ:

التّأكيدُ على أنّ قصّةَ يوسُفَ وإخوتِه، جاءتْ على أتقنِ وجْهٍ، وأعظَمِ مضمونٍ

قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾، وفيه افتتحَ البيانُ القرآنيُّ جوابَه للسّائلين عن قصّةِ يوسُفَ وإخوتِه بحرفِ التّوقّعِ والتّحقيقِ بعد لامِ القسَمِ ﴿لَّقَدْ﴾؛ تأكيدًا للأمرِ وإعلامًا بأنّ قصّة يوسُفَ وإخوته في القرآن جاءتْ على أتقنِ وجْهٍ[3] مقارِنةً لدلائلَ عظيمةٍ منَ العِبر والمواعظِ.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/17 - 18، والحجازيّ، التّفسير الواضح: 2/164.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/218.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/20.

تَقديمُ الجارِّ والمجرورِ على اسمِ كان في السّياقِ الكريمِ:

قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ﴾، قدّمَ البيانُ القرآنيُّ شبْهَ الجملةِ ﴿فِي يُوسُفَ﴾ على اسْمِ كان ﴿ءَايَـٰتٌ﴾، ولم يقل: (لقد كانت آياتٌ في يوسف وإخوته)؛ اهتمامًا بقصّةِ يوسُفَ وإخوتِه في القرآنِ الكريم، وأخّرَ اسمَ كان ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ تشويقًا له.

التّقديمُ اهتمامٌ بالمقدَّم، وتشويقٌ إلى المؤخَّرِ

نُكتةُ تذكيرِ الفعْلِ ﴿كَانَ﴾، مع تأنيثِ ﴿ءَايَـٰتٌ﴾:

قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ﴾، وفيه ذَكّرَ البيانُ القرآنيُّ الفعلَ ﴿كَانَ﴾ مع اسمِه المؤنّثِ ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ وهو جمعُ آيةٍ، ويجوزُ من حيث الحُكمُ النّحويُّ تذكيرُ وتأنيثُ الفعلِ، ولكنَّ السِّرَّ البيانيَّ لهذا التّذكير هنا هو أنّ كلمةَ ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ ليست مُؤنّثًا حقيقيًّا، ولذا يجوزُ تذكيرُها وتأنيثُها؛ فإذا قصدْنا باللّفظ المؤنّثِ معنى المذكَّرِ جازَ تذكيرُه، وهو ما يُعرفُ بالحملِ على المعنَى، وهو أحدُ طريقَيْ فهمِ التّراكيب النّحويّةِ وأسلوبيَّتِها[1]، و﴿ءَايَـٰتٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ﴾ جاءتْ بمعنَى الدّليل والبُرهانِ، أي إنّها جاءتْ بمعنًى مُذكَّرٍ، ولذا ذُكّرَ الفعلُ، ولو كانت كلمةُ (الآية) بمعنَى الآيةِ القرآنيّةِ لأُنّث الفعلُ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: 124].

في حملِ اللّفظِ على المعنى اتّساعٌ لَه وتشريفٌ، فالمقصودُ بالآيةِ الدّليلُ لا آيةُ القرآنِ

إذنْ فنُكتةُ تذكيرِ الفعلِ ﴿كَانَ﴾ هو الإشارةُ إلى اتّساع المعنَى وشرَفِه، وإلى أنّ المقصودَ منَ الآيات هو البراهينُ والأدّلةُ، وهذا ما أشارَ إليه المُفسّرون في معنَى ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ من أنّها تعني الدّلائلَ على أَنَّ القُرآنَ وَحيٌ مِنَ اللّه، وعلى صدقِ من أوحيَت إليه ﷺ، وغيرَ ذلك منَ الدّلائل التي تضمّنَتْها سورةُ يوسفَ؛ كالدّلائلِ على عاقبةِ الصّبر وشرِّ الحسدِ[2].

(1) ابن جنيّ، الخصائص: 2/423.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/218 - 219.

معنى الظّرفيّة في قوله تعالى ﴿فِي يُوسُفَ﴾:

في قصّةِ يوسفَ وإخوتِه دلائلُ وعِبرٌ ومواعظُ لا تنفكُّ عنها

﴿فِي﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ حرفُ جرٍّ أفادَ معنَى الظّرفيّةِ المجازيّةِ؛ بتشبيهِ مقارَنةِ الدَّليلِ للمدلولِ بمقارنةِ المظْروفِ للظَّرفِ، أي: لقدْ كان شَأْنُ يوسُفَ عليه السلام وإخوَتِهِ مُقارِنًا لدَلائِلَ عَظيمَةٍ مِن العِبَرِ وَالمَواعِظِ، التي تخلَّلت كلَّ تفاصيلِ القصّةِ في القرآنِ الكريمِ، وعرَّفتْ بعظيمِ صُنْعِ اللّه تعالى وتقديرِهِ(1).

إيجازُ الحذْفِ في قوله تعالى: ﴿فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾:

إذا استوَى الذِّكْرُ والحذْفُ فالحذفُ أبلغُ

حذَفَ البيانُ القرآنيُّ المُضافَ في قوله تعالى: ﴿فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾، إذِ التّقديرُ: لقد كان في خبرِ يوسفَ وخبرِ إخوته وقصّتِهم(2)، فالآياتُ في شأنِ يوسُفَ وقصّتِه وحكايتِه هو وإخوتُه، وليست في ذاتِ يوسُفَ وإخوتِه، ولكنّه حذفَ المضافَ إيجازًا، وهذا من بلاغةِ القرآنِ الكريمِ.

فائدةُ جمْعِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ وتنكيرِها في الآية الكريمةِ:

في قصّةِ يوسفَ دلائلُ وعِبرٌ عظيمةٌ

قولُه تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، وفيه عبَّر البيانُ القرآنيُّ في لفظِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بصيغةِ الجمعِ مع التّنكيرِ؛ إشارةً إلى كثرتِها وعظَمتِها، وذلك لتَعدُّدِها، وتعدُّدِ أنواعِها؛ ففي قصَّةِ يوسُفَ عليه السلام دَلائلُ على ما للصَّبرِ وحُسنِ الطَّويَّةِ مِن عواقبِ الخيرِ والنَّصرِ، أو على ما للحسَدِ والإضرارِ بالنَّاسِ مِنَ الخيبةِ والاندحارِ والهُبوطِ، وفيها مِنَ الدَّلائلِ على صدقِ النَّبيِّ ﷺ، وأَنَّ القُرآنَ وَحيٌ مِنَ اللّه، إذ جاءَ في هذه السُّورَةِ ما لا يَعلَمُهُ إلَّا أَحبارُ أَهلِ الكِتابِ دُونَ قِراءَةٍ ولا كِتابٍ وذلك مِنَ المُعجِزَاتِ، وفي بلاغَةِ نَظْمِهَا وفَصاحَتِها مِنَ الإعجازِ ما هو دَليلٌ على أَنَّ هذا الكَلامَ مِن صُنعِ اللّه أَلقاهُ إلى رَسولِه ﷺ مُعجِزَةً له على قَومِهِ أَهلِ الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ(3).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/218.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 12/26، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/277.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/218 - 219.

تَوْجيهُ القراءاتِ في لفظِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ في السّياقِ المُحكَمِ:

شـأنُ يـوسـفَ وأمـرُه كلُّه آيةٌ، وكـلُّ أحـداثِ قـصّـتِـه آيـاتٌ عظيمةٌ

قولُه تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، في لفظ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ قراءتان متواترتان[1]، هما:

الأولى: قرأ الجمهورُ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ على الجمعِ، وحجّتُه أنّه جعلَ كلَّ فعلٍ من أفعالِ يوسف آيةً فجمعَ لذلك[2]، وفي الجمع كما مرّ دلالةُ تَعدُّدِها وتعدُّدِ أنواعِها، أي كثرتِها وعظمتِها في الدّلالة على صدْقِ مَنْ نزلتْ عليه ﷺ، فكلُّ أمورِ يوسُفَ كانَت كثيرةً، وكلُّ واحدٍ مِنْهَا آيَةٌ بِنَفْسِهِ[3].

والثّانية: قرأ ابنُ كَثِيرٍ (آيةٌ) بِغيرِ أَلِفٍ، وحجّتُه: أنّه جعلَ أمرَ يوسفَ عليه السلام كلَّه عبرةً وآيةً[4]، أي: حَمَلَهُ على شَأْنِ يوسُفَ، والمرادُ بها: الجِنْسُ، وفي ذلك إشارةٌ إلى عظَمِ هذا الشّأنِ الذي جعله اللّه آيةً للنّاس؛ إذ إنّ مدارَ الأحداثِ كلِّها كانَ عليه ﷺ.

سِرُّ تَقييدِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بتعليقها بلفظ السّائلين:

الاهتمامُ والحثُّ عـلى الـسّـؤالِ في تعلّمِ أنباءِ يوسفَ، للانتفاعِ والاتّعاظِ

قولُه تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، قيّدَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بقوله ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾، ولم يقلْ: (لقد كان في يوسُفَ وإخوته آياتٌ للنَّاسِ) مع أنَّ المرادَ النّاسُ؛ فهي آياتٌ لمنْ سألَ عنها، ولمنْ لم يسألْ عنها[5]، ولم يقل: (آيات للعالمين)، وفي آخر السورة: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف: 104]؛ وذلك لأمور:

الأوّلُ: تَحْضيضٌ وحَثٌّ للنَّاسِ عَلَى تَطَلُّبِ الخَبَرِ والقِصَّةِ وتعَلُّم هذه الأنباءِ، فوصَفَهم بالسُّؤالِ؛ إذ كُلُّ واحدٍ ينبغي أنْ يَسألَ عن مِثلِ هذه القصَصِ، إذ هي مقَرُّ العِبَرِ والاتِّعاظِ[6]؛ وَمِثْلُ هَذا يُستَعمَلُ

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/130.
(2) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 193.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/422.
(4) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 192.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/282.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/221، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/241.

كذلك في كَلامِ العَرَبِ لِلتَّشْويقِ، قالَ طَرَفَةُ: سائِلُوا عَنَّا الَّذي يَعْرِفُنا ... بِقُوانَا يَوْمَ تَحْلاقِ اللِّمَمِ[1].

الثّاني: لمزيد الاهتمام بذلك؛ لأنَّ السَّائلين - سواءٌ مَن سأَلَ عنها بلِسانِ الحالِ أو بلِسانِ المَقالِ - همُ الَّذين ينتَفِعونَ بالآياتِ والعِبَرِ، وأمّا المُعْرِضونَ فلا ينتَفِعون بالآياتِ، ولا بما في القِصَصِ والبيِّناتِ[2].

الثّالثُ: يصحُّ مع ذلك أيضًا أنّه وَصَفَ النّاسَ بالسّؤال من حيث كان سببُ نزولِ السّورةِ سؤالَ سائلٍ كما رُوي[3].

الرّابعُ: من باب الاختصارِ؛ للسّائلين، أي ولغيرهم، فاكتفى بذكرِ السّائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحرِّ منَ البرد في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: 81].

دَلالةُ ﴿إِذْ﴾ وبيانُ مُتعلَّقِها، ونُكتةُ بدايةِ القصَّةِ بها:

الأدلّـةُ والعِبرُ قـائـمـةٌ في الـحـكـايـةِ عـنِ الزّمنِ الماضي

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لِما مضى منَ الزّمن تتعلّق إمّا: بمحذوفٍ تقديرُه (اذكر) والمعنى: اذكر وقتَ قولِ إخوةِ يوسفَ: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾.

أو تتعلّق بالفعل ﴿كَانَ﴾ من قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، وجملةُ ﴿قَالُوا۟﴾ مضافٌ إليها الظّرفُ[4]، والمعنَى أنّ ذلك الزّمانَ الماضيَ مَوقِعٌ من مواقِعِ الآيات، فإنّ في قولهم ذلك حينئذٍ عِبرةً من عِبرِ الأخلاقِ التي تنشأُ من حسدِ الإخوةِ والأقرباءِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/219، والبيت من بحر الرّمَل، لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه، ص: 75.

ويوم تحلاق اللِّمم: يوم من أيام حرب البسوس، أمر فيه الحارث بن عباد قومَه بحلق شعور رؤوسهم، كي يعرفَ بعضهم بعضًا، وسمِّي هذا اليوم عندها: يوم تحلاق اللِّمم. واللِّمم: مفردها اللِّمة وهي مجتمع شعر الرأس.

(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 394.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/221.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/457.

وعِبرةً منَ المُجازفة في تغليطِهم أباهُم، واستخفافِهم برأيه غُرورًا منهم، وغفلةً عن مراتبِ موجباتِ ميْلِ الأبِ إلى بعض أبنائِه، وتلك الآياتُ قائمةٌ في الحكاية عن ذلك الزّمن الماضي[1].

وبذلك تكونُ ﴿إِذْ﴾ قد أفادتْ عرْضَ محلِّ هذه العِبر والآياتِ التي تدلُّ في مجموعِها على صدْقِ القرآن وإعجازِه، وصدْقِ نبوّةِ النّبيّ ﷺ، وغيرِ ذلك منَ الدّلائلِ العظيمةِ.

وبهذا تظهرُ لدينا نُكتةُ بدايةِ القصّة بها، وهي عرضُ محلٍّ وموقعِ عبرٍ وأدلّةٍ تدلّ على صدْقِ مَن جاء بها من عند اللّه، وللأمرِ ذاتِه كَثُرَ الابتداءُ بها في كلّ قَصصِ القرآن الكريم.

فائدةُ إسناد القول إلى مجموع الإخوة:

وَهْـمٌ اتّـفـقَ عليه الإخـوةُ، وجـالـث به صدورُ بعضهم، ونـطـقـث به ألسنةُ آخرين

عبّرَ القرآنُ بواو الجماعةِ ﴿قَالُواْ﴾ في قوله سبحانه: ﴿قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: أي إخوةُ يوسف، اختصارًا لكيْلَا يذكرَ أحدًا منهم باسْمِه؛ إذْ لو ذكرهم لطالَ الكلامُ، وليس من عادةِ القرآنِ أنْ يذكرَ الأسماءَ غيرَ أسماءِ الأنبياء والرّسل والحكماءِ من أمثال لُقمانَ، ولم يذكرْ من أسماء النّساءِ إلّا مريمَ ابنةَ عمرانَ إكرامًا لها؛ وفي التّعبيرِ بواو الجماعة دون ذكْرِ أسمائهم سَترٌ على المُسيء، وكلٌّ منهم لم يخلُ عنِ الإساءة، وإنْ تفاوتتْ مراتبُها[2]، ولأنّ القائلين إمّا أنّهم أطبقوا على ذلك إلّا من قال: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، أي "قالهُ كلُّ واحدٍ منهم مُخاطِبًا للبَقيَّةِ، وهو أدَلُّ على مُسارَعَتِهم إلى ذلك القَولِ"[3]، أو أنّ القائلين هُم بعضُ إخوةِ يوسُف لبعضٍ، والباقين كانوا راضين[4]، فجُعلوا آمرين، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ السّامعَ للقولِ والرّاضيَ به يأخذُ حكمَ قائلِه، وكذلك إشارةٌ إلى أنّ وهْمَهم بأنّ يوسفَ وأخاه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/220.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/384.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/266.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/447.

أقربُ حبًّا إلى أبيهم أمرٌ لا يختلفون فيه، جالتْ به صدورُ بعضِهم، ونطقتْ به ألسنةُ آخرين.

دَلالةُ اللّام في: ﴿لَيُوسُفُ﴾:

تحتملُ لامُ ﴿لَيُوسُفُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ أحدَ معْنيَين:

زيادةُ محبّةِ يعقوبَ ليوسفَ وأخيه، أمرٌ مُحقّقٌ ثابتٌ، لا شبهةَ فيه حسبَ زعْمِهم

الأوّلُ: اللّامُ لامُ ابتداءٍ، تفيدُ التّأكيدَ والتّحقيقَ لمضمونِ الجملةِ؛ أي: أرادوا أنَّ زِيادةَ مَحبَّتِه وكثرةَ حبِّه لهما ثابتٌ لا شُبهةَ فيه[1]، والمرادُ: توكيدُ لازِمِ الخبرِ؛ إذْ لم يكنْ فيهم مَن يَشُكُّ في أنَّ يوسُفَ عليه السلام وأخاهُ أحَبُّ إلى أبيهم من بقيَّتِهم، ولكِنَّهُم لم يكونوا سَواءً في الحَسَدِ لَهُما والغَيرَةِ من تفضيلِ أبيهم إيَّاهُما على بَقِيَّتِهم، فأرادَ بعضُهم إقناعَ بعضٍ بذلك ليتمالَؤوا على الكيدِ ليوسُفَ عليه السلام وأخيه، بدليل قولِه: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، فقائلُ الكلام بعضُ إخوته، أي جماعةٌ منهم بقرينة قولِه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾[2].

الثّاني: اللّامُ لامُ قسَمٍ، والتّقديرُ: واللّه لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا[3]، ومن أهمِّ أغراضِ القسمِ تأكيدُ مضمونِ الجملةِ، أي زيادةُ محبّةِ يعقوبَ ليوسفَ لا شكَّ فيها.

عِلّةُ عطْفِ قولِه ﴿وَأَخُوهُ﴾، في السّياقِ:

مَدارُ محبّةِ يعقوبَ عليه السلام لِبنيامين، أُخوّتُه ليوسفَ منَ الطّرفَين

قولُه تعالى: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾، وفيه أنّهم إنّما قالوا ﴿وَأَخُوهُ﴾ وهم جميعًا إخوتُه، أي خصُّوهُ بالأُخُوَّةِ؛ لأنّ أمّهما كانتْ واحدةً، أي كانَ شَقِيقَهُ[4]، وبهذا العطْفِ أشركوهُما في الحُكم، وهو تفضيلُ يعقوبَ لهما في المحبّة عنهم، وأكّدوا به هذا الحُكمَ،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/246، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/241، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/255.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/220.

(3) الشّربيني، السّراج المنير: 2/91.

(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/446.

فعبّروا بقولهم ﴿وَأَخُوهُ﴾، كأنّه ليس أخاهم، ولكنَّ الشَّرَّ استحكَمَ في نفوسِهم[1].

وهناك تغايرٌ بين المعطوف والمعطوفِ عليه جعلَهم لا يُصرّحون باسم أخيهم، وهو أنَّ محبّةَ يعقوبَ عليه السلام لِبنيامين لأجلِ شقيقِه يوسُفَ عليه السلام، أي أنّ مدارَ المحبةِ أُخوّتُه ليوسفَ منَ الطّرفين، ألا يُرى إلى أنّهم كيف اكتفَوا بالتّخلّص من يوسفَ، ولم يتعرَّضوا لشقيقه بِنيامين بشيءٍ، ممّا أوقعَ بيوسفَ عليه السلام حيث قالوا ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾[2].

كما أنّ في ذلك تَوافُقًا مع طريقةِ القرآنِ في عدمِ ذكرِ التّفاصيل تركيزًا على العِبرةِ، ولذا لم يذكرْ كذلك أسماءَ إخوتِه الذين كادوا له.

دَلالةُ صيغةِ التّفضيل ﴿أَحَبُّ﴾:

قولُه تعالى: ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾، وفيه ﴿أَحَبُّ﴾ اسمُ تفضيلٍ، وأفعلُ التّفضيل يتعدّى إلى المُفَضَّلِ بـ (مِنْ)، ويتعدّى إلى المُفَضَّلِ عندَه بـ ﴿إِلَىٰٓ﴾، ودعواهُم أنّ يوسُفَ عليه السلام وأخاه أحبُّ إلى يعقوبَ عليه السلام منهم يجوزُ أنْ تكون دعوًى باطلةً، أثارَ اعتقادَها في نفوسهم شدّةُ الغيرةِ من أفضليّةِ يوسُف عليه السلام وأخيه عليهم في الكمالاتِ، وربّما سمِعوا ثناءَ أبيهم على يوسفَ عليه السلام وأخيه في أعمالٍ تصدرُ منهما، أو شاهدوه يأخذُ بإشارتِهما، أو رأوا منه شفقةً عليهما؛ لصغرِهما ووفاةِ أمِّهما، فتوهّموا من ذلك أنّه أشدُّ حبًّا لهما منهم توهُّمًا باطلًا.

اعتقادُ الإخوةِ بأفضليّةِ يوسفَ وأخيهِ، عندَ أبيهم اعتقادٌ سببُه الغَيْرةُ

أو لأنّ يعقوبَ كان يرى في يوسفَ من آثارِ الرُّشد والنّجابةِ ما لم يجدْ في سائر الأولاد، أو لعلّه عليه السلام وإنْ كان صغيرًا إلّا أنّه كان يَخدمُ أباه بأنواعٍ منَ الخدمِ أشرفَ وأعلَى بما كان يصدرُ عن سائر الأولادِ[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3805.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/255، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/381.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/423.

ويجوزُ أنْ تكون دعواهُم مطابقةً للواقعِ، وتكونَ زيادةُ محبّتِه إيَّاهما أمرًا لا يملكُ صرفَه عن نفسه؛ لأنّه وُجدانٌ، ولكنّ يعقوبَ عليه السلام لم يكن يُفضّلُهما عليهم في المعاملاتِ والأمور الظّاهريّةِ، ويكونُ أبناؤه قد علموا فرْطَ محبّة أبيهم إيّاهما منَ التّوسّم والقرائنِ لا من تفضيلِهما في المعاملةِ، فلا يكونُ يعقوبُ عليه السلام مؤاخَذًا بشيءٍ يُفضي إلى التّباغُضِ بين الإخْوةِ[1]، فالمحبّةُ ليستْ في وُسعِ البشر، فكان معذورًا فيه، ولا يَلحقهُ بسببِ ذلك لومٌ[2].

سِرُّ تقديمِ قولِه: ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾ على قوله: ﴿مِنَّا﴾:

في التّقديمِ إشارةٌ إلى توهُّمِ الإخوةِ تقديمَ محبّةِ أبيهم ليوسفَ وأخيه عليهم

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ قولَه: ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾ على قوله: ﴿مِنَّا﴾، فلم يقل: (أحبُّ منَّا إلى أبينا)، مع أنّ الجارَّ والمجرورَ في ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾ و﴿مِنَّا﴾ يتعلّقان بالفعل ﴿أَحَبُّ﴾ وذلك لأمور: **أوّلًا**: إشارةً إلى اهتمامِ الأبِ وشدّةِ محبّتِه ليوسفَ وأخيه، **وثانيًا**: شدّةِ ارتباطِ الأبِ بيوسفَ وأخيه، فلم يَفصلْ بينهم فاصلٌ، **وثالثًا**: إشارةً إلى توهّمِ الإخْوةِ في عدمِ اهتمامِ أبيهم بهم، وتأخيرِهم في المحبّةِ عن يوسفَ وأخيه.

نُكتةُ إضافةِ الأبِ إلى ضميرِ المُتكلّمين ﴿أَبِينَا﴾:

الإضافةُ إشارةٌ إلى وجوبِ التّسويةِ، مع اعتقادِهم أحقّيتَهم بزيادةِ المحبّةِ

أضافَ البيانُ الإلهيُّ الأبَ يعقوبَ عليه السلام إلى ضميرِ المتكلّمين ﴿أَبِينَا﴾ في قولِه: ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾، ولم يُضِفْه إلى ضميرِ الغائب (أبيه)؛ إشارةً منهم إلى وجوبِ التّسْويةِ بينهم، وبين أخَوَيهم، كونُ يعقوبَ عليه السلام أبًا لهم جميعًا، ومن حقِّهم أنْ يعاملَهم كما يُعاملُ يوسفَ وأخاه، وذلك لزعْمِهم أنّه لم يُسوِّ بينهم، كما صوّرَه لهم وَهْمُهم[3]، وإشارةً كذلك إلى اغترارِهم بأنفسِهم، وسيطرةِ الوهْمِ عليهم، ولذلك أتْبَعوا قولَهم هذا بقولهم: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ مُستخْدِمين كذلك ضميرَ الجماعة ﴿وَنَحْنُ﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/221.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/423.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3805.

إعرابُ جملةِ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، وفائدتُها:

تفضيلُ الأخَوَين فـي الـحـبّ والعطْفِ، إغراءٌ على قتلِ يوسفَ

(الواو) في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ واوُ الحال، والجملةُ في موضعِ الحال من ﴿أَحَبُّ﴾، والمعنَى: ليوسُفَ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا ونحن أكثرُ عددًا، فالجملةُ الحاليّةُ أكّدتْ ما تضمّنَه العاملُ فيها ﴿أَحَبُّ﴾ من معنًى، والمقصودُ منَ الحالِ التَّعَجُّبُ من تفضيلِهما في الحبِّ في حالِ أَنَّ رجاءَ انتفاعِه من إخوَتِهما أشدُّ من رجائِه منهُمَا، يعنى: أنّه يفضّلُهما في المحبّة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفايةَ فيهما ولا منفعةَ، وهم جماعةٌ عشرةُ رجالٍ كُفأةٌ أحقُّ بزيادة المحبّةِ منهما؛ لفضلهم بالكثرةِ والمنفعةِ عليهما[1]، بناءً على ما هو الشَّائعُ عند عامّةِ أهلِ البَدوِ منَ الاعتزازِ بالكثرة، فظنّوا مداركَ يعقوبَ ﷺ مساويةً لمداركِ الدَّهماء، والعقولُ قلَّما تُدركُ مراقيَ ما فوقَها، ولم يعلَموا أنّ ما ينظرُ إليه أهلُ الكمال من أسبابِ التَّفضيلِ غيرُ ما ينظرُه مَنْ دونَهم[2].

ويجوزُ أن تكون جملةُ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عطفًا على جملةِ ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾، والمقصودُ إغراءُ وتجرئةُ بعضهم بعضًا على إتيانِ العملِ الذي سيُغريهم به في قولهم: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، أي إنَّا لا يُعجزُنا الكَيدُ ليوسُفَ ﷺ وأخيه فإنَّا عُصبَةٌ، والعُصبَةُ يَهونُ عليهمُ العَمَلُ العظيمُ الَّذي لَا يَسْتَطيعُهُ العَدَدُ الْقَليلُ، كقوله: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[3].

سِرُّ التّعبيرِ بلفظِ ﴿عُصْبَةٌ﴾:

اغـتـرارُهـم بعناصرِ قوّتِهم، أزداهُـم في مستنقَعِ الكيدِ ليوسفَ ﷺ

قولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، وفيه عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ ﴿عُصْبَةٌ﴾، وهي اسمُ جَمعٍ لَا واحِدَ لَهُ من لَفظِه، ويُقال: (الْعِصَابَةُ) وتُطلقُ العُصبَةُ على الجماعة من عَشْرَةٍ إلى أربَعينَ[4]، سُمّوا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/446.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/221.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/222.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/222.

بذلك؛ لأنّهم جماعةٌ تُعْصَبُ بهمُ الأمورُ أي تُشدُّ فتقوى، ويُستكفَون النّوائبَ[1]، وسُميّت العصبةُ بذلك؛ لأنّها قد عُصِبَتْ، أي كأنّها رُبطَ بعضُها ببعضٍ، إذ بينَهم آصرةٌ شديدةٌ تربطُهم، أو هم مُتّحِدون على أمرٍ ما[2]، فكان في اختيارِ لفظِ ﴿عُصْبَةٌ﴾ إشارةٌ إلى قوّتِهم وترابطِهم واتّحادِهم، فهم جماعةٌ مجتمعةُ الكلامِ متعاضدةٌ[3].

سِرُّ فصْلِ جملةِ ﴿إِنَّ أَبَانَا﴾ عمّا قبلَها:

تعليلُ تعجُّبِهم من زيادةِ محبّةِ يعقوبَ ليوسفَ

فصَل البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عنِ الّتي قبلَها ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، ولم يأتِ بالعاطف؛ لوقوعِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا﴾ استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتَين من شِبْهِ كمالِ اتّصالٍ؛ فكأنّ سائلًا سألَ ما علّةُ ذلك؟ فجاء الجوابُ تفريعًا لِما سبق وتَعليلًا لتَّعجُّبِهم من زيادةِ محبّة يعقوبَ رغم أنّهم أكثرُ منفعةً له بكثرةِ عددِهم، وذلك إذا كانتْ جملةُ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ حاليّةً من ﴿أَحَبُّ﴾ بقصْدِ التّعجّبِ. وكذلك يُمكنُ أنْ تكونَ تَعليلًا لإغراءِ وتجرئةِ بعضِهم بعضًا بقتلِهم يوسفَ إذا كانتْ جملةُ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ معطوفةً على ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾[4].

دَلالةُ كثْرةِ المؤكِّداتِ في سياقِ الجملةِ:

تَـوالي المُؤكِّـدات إشارةٌ إلى ما في قلوبِهم من غيْظٍ وغضبٍ

أكّدَ البيانُ الإلهيُّ قولَه: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بعدّةِ مُؤكِّداتٍ:

الأوّلُ: التّوكيدُ بـ ﴿إِنَّ﴾؛ إذ إنّ هذا الحرفَ يفيدُ توكيدَ النّسبةِ بين المُسنَدِ والمُسنَدِ إليه في الجملة؛ أي توكيدُ كينونةِ الضّلال في أبيهم، وسببُ التّوكيد أنّ حالَ أبيهم في الاستقامةِ والهدايةِ داعٍ إلى تكذيبِهم[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/446.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصب).
(3) الرّاغب، المفردات: (عصب).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/221.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/22.

الثّاني: التّوكيدُ بالجملةِ الاسميّةِ، التي تَدلُّ على الثّباتِ وقوّةِ الحُكْمِ وبَقائِهِ، والمعنَى الذي أرادوه بالتَّعبيرِ بها، هو أنّ أباهم ثابتٌ وباقٍ في ذهابه عن طريقِ الصّواب.

الثّالثُ: (اللّام): الفارقةُ المُزحلقةُ التي دخلتْ على متعلَّق الخبرِ ﴿لَفِي﴾ والتي من أغراضها التّوكيدُ.

الرّابعُ: الاستئنافُ البيانيُّ في الجملةِ الذي يقتضي تأكيدَ الحُكم[1]، وهو الجوابُ الذي هو في الجملة الثّانية وهي ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، والذي هو تعليلٌ لتعجُّبِهم من زيادة محبّة يعقوبَ ليوسفَ، أو تعليلٌ لإغراءِ بعضِهم بعضًا بقتلِ يوسفَ؛ لأنَّ السَّائلَ متردِّدٌ في هذا السَّببِ الخاصّ، هلْ هو سببُ الحُكمِ أمْ لا؟.

الخامسُ: التّوكيدُ بالصّفةِ ﴿مُّبِينٍ﴾؛ إذ إنّها وَصفتِ المنعوتَ ﴿ضَلَالٍ﴾ بما يُقوّي معناه ويؤكّدُه؛ فهو ضلالٌ ظاهرٌ لا شكَّ فيه حسبَ زعمِهم. وتشيرُ هذه المؤكِّداتُ إلى ما تحملُه قلوبُهم من غيظٍ وغضبٍ تُجاهَ موقفِ أبيهم من حبِّه الشَّديد ليوسفَ عليه السلام.

عِلّةُ اسْتعمالِ حرفِ الظّرفيّة مع الضّلال:

بيانُ وهْمِ اعتقادِهم بأنّ أباهم غارقٌ في الضّلالِ، بحبِّ يوسفَ وأخيه

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وفيه عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بحرفِ الجرّ (في) الذي يفيدُ الظّرفيّةَ، ولم يقل: إنّ أبانا ضالٌّ؛ إشارةً منهم إلى كون ضلالِ يعقوبَ مُتوغّلًا ومتمكّنًا ومُستقرًّا فيه[2]؛ إذ إنّ حرفَ الظّرفيّةِ (في) يدلُّ على الإيغالِ والاستقرارِ والتّمكّنِ في الشّيء.

معنى ﴿ضَلَالٍ﴾ وسرُّ وصْفه بالإبانة:

إخطاءُ يعقوبَ مَسلَكَ الصَّوابِ في التّسويةِ بينهم، ظاهرٌ بزعْمِهم

قولُه تعالى: ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾": معنَى الضّلالِ في الآيةِ إخطاءُ مَسلَكِ الصَّوابِ في التَّدبيرِ للعيشِ لا الخَطأُ في الدّينِ والاعْتِقادِ،

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 3/122.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/382.

والتَّخطِئَةُ في أَحوالِ الدُّنيا لَا تُنافي الاعترافَ للمُخطئ بالنّبوّة[1]، والمعنَى: إنَّ أبانا في ذِهابٍ عن طريق التَّعديلِ اللّائقِ، وتنزيلِ كلٍّ منَّا منزلتَه[2].

وفي وصْفِهم للضّلال بالمبين تأكيدٌ لهذا الخطأ بأنّه ذهابٌ عن مسلكِ الصّوابِ ظاهرُ الحال، والغرَضُ منَ التَّوكيد بهذا الوصفِ المبالغةُ في إظهارِ خطأ أبيهم، "وإشارةٌ إلى أنَّ ذلك غيرُ مناسبٍ له بزعْمِهم"[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العُصْبةُ والجَماعةُ:

يوجدُ تقاربٌ دلاليٌّ بين لفظَي (العصبةِ، الجماعةِ)؛ إذ يشتركان في المعنَى العامّ، وهو أنّها تعني مجموعةً منَ النّاسِ، وتفترقُ في أنّ لكلٍّ منهما ما يُميّزُه عنِ الآخر، وذلك على النّحو الآتي:

العُصْبةُ أخصُّ منَ الجماعةِ، فالعُصْبةُ مُحدّدةٌ بعددٍ، وبينَهم آصرةٌ شديدةٌ تَربطُهم

العُصْبة: تدلّ في أصلِ مادّتها على رَبْطِ شيءٍ بشيءٍ[4]، والعُصْبَةُ منَ الرّجال عشرةٌ فأكثرَ[5]، وسُمّيت بذلك؛ لأنّها قد عُصِبَتْ أي كأنّها رُبطَ بعضُها ببعضٍ، إذ بينَهم آصرةٌ شديدةٌ تربطُهم، أو هم متّحدون على أمرٍ ما[6].

والجَماعةُ: تدلُّ في أصلِ مادّتها على الجمع، وهوضمُّ الشّيء بتقريبِ بعضِه من بعضٍ[7]، والجماعةُ من كلّ شيءٍ يُطلقُ على القليل والكثيرِ[8]، والجماعةُ منَ النّاس: طائفةٌ منَ النّاس يجمعُها غرَضٌ واحدٌ[9].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/222.
(2) أبو السّعود إرشاد العقل السّليم: 4/255.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/382..
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصب).
(5) الخليل، العين، والزّبيديّ، تاج العروس: (عصب).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصب).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (جمع).
(8) الفيوميّ، المصباح المنير: (جمع).
(9) مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة، المعجم الوسيط: (جمع).

إذن: العصبةُ أخصُّ منَ الجماعة، إذِ العصبةُ محدَّدةٌ بعددٍ في العُرْف أقلُّه عشرةٌ، في حين أنَّ الجماعةَ غيرُ محدَّدةٍ بعدد.

كما أنّ العصبةَ مرتبطةٌ ببعضها برابطةٍ قويّةٍ، في حينِ أنَّ الجماعةَ يكونُ اجتماعُهم على أمرٍ ما.

الضّلالُ والخطأُ:

يشتركُ (الضّلال) مع (الخطأ) في أنّ كليْهما فيه معنَى العُدولِ عنِ الجهة، ويفترقان في أنّ:

الـضّـلالُ أعـمُّ مـنَ الـخـطـأِ؛ إذِ الخطأُ أحدُ معاني الضّلالِ

الخَطأ: ضدُّ الصّواب، والخَطَأُ: ما لم يُتعمّدْ، وأخطأ الطّريقَ: عدلَ عنه، وأخطأَ: سلكَ سبيلَ الخطأ عمْدًا أو سهْوًا، ويُقال لمَنْ أرادَ شيئًا ففعلَ غيرَهُ، أو فعلَ غيرَ الصّواب: أخطأ[1]، والخطأُ: وقوعُ الفعل على خلافِ مقصودِ الفاعل، وقد ورد في القرآن على ثلاثة أوجُهٍ: الشّركِ، والذّنْبِ، وما لم يُتعمّدْ[2].

والضّلالُ: يدلُّ على ضَياعِ الشّيءِ وذهابِه في غيرِ حقّهِ[3]، وهو: ضدُّ الهُدى والرّشاد، والضَّلالُ يُقال لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الحَقِّ، عَمْدًا كانَ أو سَهْوًا، يَسيرًا كانَ أو كثيرًا[4]، ويُستعملُ بمعنى الخطأ[5].

إذن: يتميّزُ الخطأ بأنّه ضدُّ الصّوابِ، وأكثرُه يُستعملُ في ما لم يُتعمّدْ[6]، في حينِ يتميّزُ الضّلالُ بأنّه ضدُّ الهُدى والرّشاد، وهو أعمُّ منَ الخطأ؛ إذ أحدُ معاني الضّلال الخطأُ، كما أنّ استعمالَ الضّلال أكثرُه جاء في الذّمّ.

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (خطأ).
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 271.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضل).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (ضلل).
(5) الرّاغب، المفردات: (ضل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خطأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»